مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الخامس والعشرون / ربيع الثاني - جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ ، أبريل - يونية ٢٠٠٨م

المملكة العربية السعودية
مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٥

- الرماية بالسهام وأثرها في غزوة الخندق
- دلائل النبوة في غزوة الأحزاب
- مخطوطات التاريخ في مكتبة عارف حكمت
- الأحوال الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والسياسية في المدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب (القسم الثاني)

الأحـــوال
الاجتماعية والسكانيةوالاقتصادية والسياسية
للمدينـة المنـورة قبـيل غـزوة الأحــزاب
(القسم الثاني)

د. علي بن عائش المزيني

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

فهذا بحث (الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والسكانية للمدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب).

حيث تعتبر غزوة الأحزاب حدثاً بارزاً ومهماً في تاريخ عصر الرسالة في المدينة المنورة، فهي تمثل حداً فاصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية في تلك الفترة:

مرحلة الدفاع، حين كانت قريش تأخذ بزمام المبادرة، وتستهدف المسلمين في عقر دارهم، فيأخذ المسلمون الأهبة والاستعداد للدفاع عن أنفسهم، كما في بدر وأحد والخندق، وقد تمكن المسلمون في بعض فترات هذه المرحلة بفضل إيمانهم وصدق توكلهم على الله وثقتهم به وشجاعتهم في الصمود والدفاع، واستبسالهم في القتال طلباً للنصر أو الشهادة من تحقيق بعض أهدافهم، وتعد غزوة الأحزاب هي آخر حلقة من حلقات هذه المرحلة.

ومرحلة الهجوم وقد بدأت هذه المرحلة بعد غزوة الأحزاب، وقد تميزت بأنها ذات نطاق أوسع ومجال أرحب من فرض السيطرة وبسط

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

النفوذ، بعد أن قويت شوكة المسلمين وأشتد عودهم، وأصبحوا يمسكون بزمام المبادرة وحدهم، ويقررون أين ومتى يتجهون، وبمن يبدؤون، وهي مرحلة تنبيء عن تطور الأحداث إيجابياً لصالح المسلمين.

وفترة الدراسة لهذا الموضوع ربما يتوقع البعض أن تكون الأيام والأسابيع والأشهر القليلة قبيل الغزوة كما يشير إلى ذلك عنوان البحث،وهي كذلك في الغالب، إلا أنها قد تمتد أحياناً لتشمل الخمس سنين الأولى من عمر الدعوة في المدينة، بسبب التسلسل الموضوعي والبناء الوحدوي للوقائع والأحداث، والتداخل الذي يقع بينها، حين يترتب بعضها على بعض، لتشكل وحدة موضوعية واحدة وإن اختلفت أزمانها، ولهذا فإن كلمتي (قبل وقبيل) هي من الألفاظ التي يكثر استعمالها في هذا البحث؛ لتعبر عن الأزمان ذات الصلة بموضوع الدراسة قرباً وبعداً.

كما أن التشريع في الشؤون المختلفة ومنها فروع هذا البحث لايزال مستمراً ولم يكتمل بعد مما يجعل الفصل الدراسي بين مراحل العصر الواحد محفوفاً بالعقبات و الصعاب، إلا أنه مع الاضطرار إليه لابد من أخذ ماقبلها وبعدها من أحداث التاريخ بعين الاعتبار أثناء الدراسة ولو تلميحاً، ومع هذا فإنني سأكتفي غالباً عند إيراد الشواهد التاريخية بما كان منها خاصاً بالفترة موضوع الدراسة وأصرف النظر عما سواها من حقب تاريخية.

وقبل الشروع في موضوع هذا البحث فإني أنبه إلى قلة العناية به وبمثله من الموضوعات الفكرية والثقافية والحضارية في الدراسات التأريخية، مما يزيد من صعوبته ويجعل تناوله بالدراسة ليس بالأمر السهل، حيث تركز تلك الدراسات على الأحداث والوقائع السياسية والعسكرية

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالدرجة الأولى، ومن جهة أخرى فإن هذه الموضوعات في تلك الدراسات تكون متداخلة بعضها في بعض، ويحتاج استظهارها من بين سطور تلك الوقائع والأحداث إلى قراءة متأنية، وعناية فائقة، وملاحظة دقيقة، مما يتطلب جهداً أكبر، ووقتاً أطول، ومع ذلك فإننا نجد أنفسنا أمام إشكالية لابد منها وهي تكرار بعض الأمثلة والشواهد التأريخية في مواضع مختلفة من البحث.

الحالة الاقتصادية

ساءت أحوال المدينة الاقتصادية منذ اللحظات الأولى لانتقال المهاجرين من مكة إلى المدينة[١]، فمعظم المهاجرين تركوا أموالهم بمكة في ظل ظروف معينة أجبرتهم على ذلك ليس هذا مقام الخوض في تفاصيلها، وزاد الأمر سوءاً أن مهارتهم كانت في التجارة التي تمرست بها قريش ولم تكن في الزراعة والصناعة اللتين تشكلان أساسين مهمين في اقتصاديات المدينة[٢].

أما الأنصار فقد تحملوا بموجب تعاليم الإسلام وما فرضه عليهم من أخوةٍ وتعاون أعباء استضافة إخوانهم من المهاجرين، فآثروهم على أنفسهم وأشركوهم في المهنأ وكفوهم العمل[٣]، مع أن حالهم لم تكن بأحسن

(١) الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، محمد بطاينة ١٠، دار الفرقان، عمان – الأردن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. والمدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، محمد السيد الوكيل ١٣٩. والسيرة النبوية، الندوي ١٨٦، ١٨٧.

(٢) المجتمع المدني (خصائصه.....)، أكرم العمري ٧٣، ٨٩. والحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة، أكرم العمري ٣١.

(٣) آخى النبي ﷺ أول مقدمه المدينة بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة خاصة علاوة على أخوة الإسلام العامة، وممارتبه تعالى على هذه المؤاخاة من الأحكام إضافة إلى التعاون والترافد والتآزر أن يرث الأخ أخاه دون ذوي رحمه، ثم ألغي العمل بهذا الحكم فيما بعد، وأعيد التوارث بين ذوي الأرحام إلى وضعه الأول، وذلك حين تغيرت الظروف، وأخذت أحوال المهاجرين في التحسن، وقد ضَرب الأنصار أروع الأمثلة في التضحية والإيثار، منها أنه لما آخى ﷺ بين سعد بن الربيع (الأنصاري) وعبد الرحمن بن عوف (المهاجري) قال سعد: إن لي مالاً

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كثيراً من حال المهاجرين، وكانت الحروب الطاحنة التي خاضوها فيما بينهم في الماضي وكان آخرها قبل هجرة الرسول ﷺ إليهم بخمس سنين قد فرقت ملأهم وقتلت سرواتهم وذهبت بخضرائهم، وكادت تقضي على اقتصاد البلد تماماً، حتى صاروا كثيراً ما يستوردون الحبوب والدقيق من الشام ليسدوا حاجتهم ويكملوا نقص محاصيلهم الزراعية[١].

ولعل قول الحق تبارك وتعالى في آية سورة الحشر في وصف حال الأنصار في قوله تعالى: (...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...)[٢] ينبيء بوضوح عن هذا الوضع الاقتصادي المتدهور؛ إذ أ ن الخصاصة عند أهل التفسير هي الحاجة[٣].

وكان الفقر هو السمة الغالبة على المجتمع في تلك الفترة[٤]، وتتجلى أبرز مظاهره في حالة أهل الصفة التي برزت في بدايات الهجرة[٥]،وقد شهدت معركتا بدر وأحد استشهاد عدد منهم[٦]، واستمرت إلى فترة متأخرة من عصر النبوة، حيث تذكر الروايات: أن أبا هريرة رضي الله عنه الذي لم يسلم إلاّ في العام السابع الهجري بعد فتح خيبر، وهو عريف أهل الصفة، كان يصرع بين

فهو بيني وبينك شطران، ولي امرأتان فانظر أيهما أحب إليك فأنا أطلقها فإذا حلت فتزوجها. فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.وقد سطر القرآن الكريم موقف الأنصار في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾الحشر (٩). وانظر فيما تقدم: المجتمع المدني (خصائصه....)،أكرم العمري ٧٣ – ٨٠.

(١) المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، محمد السيد الوكيل ١٣٩. والسيرة النبوية، الندوي ١٨٩. وانظر: صحيح البخاري مع الفتح ٧/ ١٣٧، ١٩١، ٣١٠ (٣٧٧٧، ٣٨٤٦، ٣٩٣٠).

(٢) الحشر (٩).

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٤.

(٤) الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة، أكرم العمري ٢٧.

(٥) المجتمع المدني (خصائصه...)، أكرم العمري ١٠١.

(٦) المصدر السابق ٩٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المنبر وحجرة عائشة رضي الله عنها لما به من الجوع[١].

وكانت الدولة الناشئة تعاني من شح في الموارد، وربما كانت قلة الموارد سبباً لعدم ظهور بيت لحفظ المال في تلك الفترة[٢]، وهي غير((قادرة على توفير متطلبات الدولة، والمجتمع والجهاد إلاّ بصعوبة بالغةٍ، ففي غزوة بدر لم يؤمّن للمقاتلين سوى سبعين بعيراً مع أن عددهم يزيد على ثلاثمائة مقاتل[٣]، وكان فقراء المهاجرين من أهل الصفة يشتكون من عدم توافر طعام غير التمر الذي أحرق بطونهم[٤]، وكثيراً ماظهرت آثار الجوع على الرسول ﷺ وأصحابه))[٥].

روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوع يارسول الله. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما..**)[٦].

وكان كثير من المقاتلين يجهزون أنفسهم من أموالهم الخاصة[٧].

---

(١) صحيح البخاري ١١ / ٢٨٦ (٦٤٥٢). والمجتمع المدني (خصائصه.....)، أكرم العمري ٩١، ٩٩.

(٢) الحياة الاقتصادية، أكرم العمري ٦٨.

(٣) مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، عبد الله بن إدريس ١٨٧.

(٤) المجتمع المدني (خصائصه....)، أكرم العمري ٨٩ -١٠٥. ومجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٨٧.

(٥) الحياة الاقتصادية، محمد بطاينة ٧٣.

(٦) صحيح مسلم ٣/ ١٦٠٩ (٢٠٣٨). وانظر: الموطأ برواية يحيى الليثي ٥١٥ (١٦٨٩)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. وقد اختلف الناس في الوقت الذي وقعت فيه هذه الحادثة، فذهب البعض إلى أنها وقعت بعد فتح خيبر سنة سبع من الهجرة استناداً إلى أن راوي الحديث لم يسلم إلا بعد فتح خيبر، وذهب البعض الآخر إلى أنها وقعت قبل هذا التاريخ، ولا يلزم من كون راوي الحديث قد أدركها، فلعله سمعها من النبي ﷺ أو من غيره. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٢١١. قلت: وعلى فرض أن تكون الحادثة وقعت بعد فتح خيبر فإن الفترة السابقة لها ستكون حتماً أسوأ حالاً منها.

(٧) الحياة الاقتصادية، أكرم العمري ٧٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومع أن الأحوال الاقتصادية آخذة في التحسن تدريجياً[١] مع نزول تشريعات تؤمن للدولة موارد مالية جديدة مثل:

تشريع أخذ زكاة الأموال في العام الثاني الهجري، وزكاة الفطر مع فرض صيام رمضان من العام نفسه[٢]، وقد شكل هذان الموردان مصدر دخل سنوي ثابت، يزيد وينقص بحسب ظروف الرخاء والجدب، إلا أنه نظراً لتردي الحالة الاقتصادية العامة في تلك الفترة فإننا نتوقع ألا يكون لهذين الموردين دور كبير في النهوض بالوضع الاقتصادي في ذلك الوقت، وأن إسهامهما فيه كان محدوداً.

ومثل تشريع أخذ الغنائم والفيء والخمس من المعارك التي يخوضها المسلمون مع أعدائهم، أو التي يحوزها المسلمون بدون قتال نتيجة هروب أهلها عنها فراراً من المسلمين، أو نتيجة جلاء أهلها عنها عقوبة لهم على جرائم ارتكبوها في حق المسلمين، وكان ابتداء ذلك منذ العام الثاني الهجري أيضاً بعد غزوة بدر[٣]، وهذه الأموال قد تكون مالية وقد تكون عينية، وقد تكون منقولة أو غير منقولة أحياناً.

فقد حاز المسلمون في العام الثاني الهجري نتيجة اجلاء يهود بني قينقاع الذين عرفوا بأنهم أشجع يهود المدينة وأكثرهم ثراءً، وكان كثير منهم يعمل في صياغة الذهب والفضة[٤]، وسوقهم (سوق بني قينقاع) كانت مشهورة في المدينة في ذلك الوقت، حاز المسلمون منهم سلاحاً كثيراً وآلات صياغة، وحوالي سبعمائة دار تم توزيعها بين المهاجرين خاصة الذين لم

(١) السابق ٢٧، ٦٨.

(٢) السابق ٥٦.

(٣) المجتمع المدني (الجهاد....)، أكرم العمري ٥٥، ٥٦.

(٤) المجتمع المدني (خصائصه....)، أكرم العمري ١٣٩. والسيرة النبوية، الندوي ١٨٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يكونوا يمتلكون دوراً وكانوا ينزلون ضيوفاً على دور الأنصار[١].

أما يهود بني النضير الذين أجلوا في العام الرابع الهجري فقد كانت الاستفادة مما خلّفوه بعد رحيلهم محدودة؛ حيث كانت منازلهم تقع بعيداً عن المدينة، على ضفاف وادي مذينيب في جنوب شرق المدينة، ومع ذلك فقد أقطع النبي ﷺ بعض أرضهم نفراً من أصحابه من المهاجرين والأنصار، منهم: أبا بكر، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسماك بن خرشة (أبو دجانة)، وسهل بن حنيف، واستصفى لنفسه ﷺ أموالهم ونخلهم وجعلها حبساً لنوائبه (فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ثم يجعل مابقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله)[٢].

وقد قدّر أحد الباحثين في دراسة إحصائية[٣] الغنائم التي حصل عليها المسلمون في عصر النبوة، وسأذكر منها مايتعلق بالفترة موضوع الدراسة:

ففي سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة التي كانت في رجب من العام الثاني الهجري[٤] بلغت الغنائم فيها حوالي ألفي درهم.

أما غنائم غزوة بدر التي كانت في رمضان من العام الثاني الهجري [٥] فبلغت حوالي مائة وستون ألف درهم.

أما غنائم غزوة بني قينقاع التي كانت في شوال من العام الثاني

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام ٣/٥١، ٥٢. والحياة الاقتصادية، أكرم العمري ٦٠.

(٢) صحيح البخاري ٦/١١٠ (٢٩٠٤). والحياة الاقتصادية، أكرم العمري ٦٩، ٧١. والمجتمع المدني (خصائصه..)، أكرم العمري ١٤٩، ١٥٠. والكراع:هي الخيل. انظر: فتح الباري ١٣/ ٢٢٣ (٧٢٢١). والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٤/ ١٦٥، تحقيق ظاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، ط٤.

(٣) نقلاً عن كتاب: الحياة الاقتصادية، أكرم العمري ٦٢، ٦٣.

(٤) تاريخ الإسلام (المغازي)، الذهبي ٤٨، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧م. والمجتمع المدني (الجهاد...)، أكرم العمري ٢٩. والسرايا والبعوث النبوية، بريك العمري ٩٥، دار ابن الجوزي، ط١، الدمام – السعودية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٥) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٦١٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الهجري[١] فبلغ ثمن الأسلحة فقط فيها حوالي خمسون ألف درهم.

في حين بلغت غنائم غزوة الكُدْر التي كانت في المحرم من السنة الثالثة للهجرة[٢] مابين ألفين وسبعة آلاف درهم.

أما غنائم سرية القَرَدَة التي كانت في جمادى الآخرة من السنة الثالثة للهجرة[٣] فبلغت مائة ألف درهم كما صرحت بذلك المصادر الأولى.[٤]، أما غنائم سرية قَطَن التي كانت في المحرم من العام الرابع الهجري[٥] فبلغت حوالي إثنان وخمسون ألفاً وأربعمائة درهم.

وبلغ ثمن الأسلحة فقط في غزوة بني النضير التي وقعت في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة[٦] حوالي عشرة آلاف درهم، أما الأموال فقد سمح لهم ﷺ بأخذها كما سمح لهم باستيفاء ديونهم من أهل المدينة، أما بساتين النخيل، وحقول الزراعة، والدور والقلاع والحصون فمن الصعب تقدير أثمانها، ولكن عبد الرحمن بن عوف باع قطعة أرض كان قد تملكها منها بمبلغ أربعين ألف درهم على عثمان بن عفان رضي الله عن الجميع. أما ثمن الأراضي فيقدر بحوالي ثلاثمائة ألف درهم.

أما غنائم غزوة دومة الجندل التي وقعت في ربيع الأول من العام

---

(١) المغازي ، الواقدي ١٧٦/١. والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ١٣٧.

(٢) المغازي، الواقدي ١٨٢/١.وتاريخ الإسلام (المغازي)، الذهبي ١٥٤. والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٣٧٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض – السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وتذكر المصادر الأولى أن غنائم غزوة الكدر كانت خمسمائة بعير. انظر: الطبقات ، ابن سعد ٢/ ٣١.

(٣) المغازي ، الواقدي ١٩٧/١. السيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٣٧٧.

(٤) الطبقات ، ابن سعد ٢ / ٣٦.

(٥) المغازي ، الواقدي ٣٤٠/١. والطبقات ، ابن سعد ٥٠/٢.والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٤٠٩.

(٦) السيرة ، ابن هشام ١٩٩/٣، ٢٠٠. والمغازي ، الوقدي ٣٦٢/١.والطبقات ،ابن سعد ٥٧/٢.والمجتمع المدني (خصائصه....)، أكرم العمري ١٤٣، ١٤٤. والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٤٢١، ٤٢٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الخامس الهجري[١] فبلغت حوالي عشرة آلاف درهم.

أما غنائم غزوة بني المصطلق (المريسيع) التي وقعت في شعبان من العام الخامس الهجري[٢] فبلغت حوالي أربعة وعشرون ألف درهم وهو ما يعادل فدية الستمائة رجل من الأسرى الذين تم عتقهم[٣]، وأما القيمة الإجمالية للغنائم فتقدر بحوالي مائتي ألف درهم، مع العلم أن مائة عائلة من الأسرى أطلق سراحهم منّاً دون فداء، بعد زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما.

كانت هذه الغنائم التي حازها المسلمون في تلك الفترة رغم ما يبدو من ضخامتها تعد ضئيلة ومحدودة بالنظر إلى حاجة المسلمين المتنامية مع الإقبال المتزايد على سكنى المدينة[٤].

ومع أن الإقبال المتزايد على سكنى المدينة قد أفاد في توسيع دائرة النشاط التجاري، وكثرة الطلب على السلع والبضائع، مما أدى إلى نمو حركة البيع والشراء، وازدياد حجم سوق العمل، وتنوّع الحرف، وتوافر الأيدي العاملة[٥]، في ظل نزول تشريعات جديدة تواكب هذا التطور وتضبط أنشطة المجتمع التجارية، فتحثه تارة على العمل والإنتاج، وتحذره

(١) السيرة ، ابن هشام ٣/ ٢٢٤. والمغازي ،الواقدي ٤٠٢/١. والطبقات ، ابن سعد٦٢/٢. وتاريخ الإسلام(المغازي)،الذهبي ٢٥٧. والمجتمع المدني (الجهاد.....) ، أكرم العمري ٩١. والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٤٢٩.

(٢) المغازي ،الواقدي ٤٠٤/١. والطبقات ،ابن سعد ٦٣/٢. وتاريخ الإسلام (المغازي) ، الذهبي ٢٥٨. والمجتمع المدني (الجهاد.....) ، أكرم العمري ٩٥. والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٤٣٢.

(٣) هذا استناداً إلى الرواية القائلة بأن عدد الأسرى منهم كان أكثر من سبعمائة، مُنّ على مئة منهم بعد زواج رسول الله ﷺ من ابنة سيدهم الحارث بن أبي ضرار وهي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث، وستمائة أطلق سراحهم بالفداء، وقتل بعضهم وهم عشرة، انظر المجتمع المدني (الجهاد....) ، أكرم العمري ٩٦، ٩٧. والسيرة النبوية ، مهدي رزق الله أحمد ٤٣٣.

(٤) الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٣٣.

(٥) مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ، عبد الله بن إدريس ٢١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تارة من البطالة والتسول والغش والاحتكار أو بيع المحرمات أو أخذ الربا الذي كان منتشراً في مجتمع المدينة على أيدي اليهود الذين لايزالون حتى ذلك الوقت يشكلون شريحة كبيرة من المجتمع فيها ويسيطرون على جزء كبير من اقتصادها[١]، وهم الأكثر ثراءً فيها، وعلى الأخص بنو قينقاع، حيث كانت بيوتهم تحتوي على الأموال الطائلة والحلي الكثيرة من الفضة والذهب، مع أنهم كانوا أقل اليهود عدداً في المدينة، إلا أن ثراءهم ذلك يكاد يقتصر نفعه عليهم وحدهم بينما يثقلون كاهل الآخرين المضطرين للاقتراض منهم بالفوائد الربوية المتراكمة عبر السنين[٢].

كما أدى إلى انتشار أنواع مختلفة من الحرف والصناعات في المجتمع المدني في تلك الفترة، منها على سبيل المثال: الزراعة، والصناعة، والتجارة، والرعي، والبناء، والنجارة، والحدادة، والصياغة، والدباغة، والخياطة، والخرازة، والخواصة[٣].

وهذه الحرف لاتخضع في رأيي لعامل الزمن، فتكون موجودة في زمن ولا تكون موجودة في آخر، وإنما تخضع لمعيار الحاجة، وحيثما وجد الإنسان وجدة معه الحاجة إلى هذه الحرف على درجات متفاوتة، قد تزيد وقد تنقص، تزيد بزيادة المحتاجين إليها وتنقص بنقصهم، ومن هنا يمكننا القول بأن هذه الحرف كانت متوافرة بدرجات متفاوتة في مجتمع

(١) الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٩ -١٢، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٤ – ٤٣. والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ٥٩، ٦٠. والمدينة عاصمة الإسلام الأولى ، محمد السيد الوكيل ١٤٠ - ١٤٦. ومجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ٢١١، ٢١٢.

(٢) السيرة النبوية ، الندوي ١٧٦ -١٧٨، ١٨٧، ١٨٩.

(٣) الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٤١ – ٥٥. ومجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ٢١٩ – ٢٢٥. والحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ، عبد العزيز العمري ٣٤٤ – ٣٤٨، ط١، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م. و التراتيب الإدارية ، الكتاني ٢/ ٢ - ١٦٦، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدينة في تلك الفترة نظراً لتوافر الناس بها.

إلا أن الحاجة لاتزال أكبر من الإمكانات المتاحة، إذ لم تكن تلك الإمكانات بالقدر الكافي لسد حاجة المسلمين، أو النهوض باقتصادهم بشكل ملحوظ.

ففي غزوة الخندق نفسها تظهر هذه الحاجة بشكل واضح، فقد كان المسلمون يعملون في حفر الخندق استعداداً للمعركة وهم يشدون الحجارة على بطونهم من الجوع بما في ذلك رسول الله ﷺ[1]، ((فقد أصاب المدينة في ذلك العام مجاعة مع برد قارس، وكان طعام الجيش قليل من الشعير يخلط بدهن قديم قد تغيرت رائحته، يطبخ فيأكلونه رغم طعمه الكريه ورائحته المنتنة لفرط الجوع، وأحياناً لايجدون سوى التمر، وقد يلبثون ثلاثة أيام لايذوقون طعاماً، ولكن حرارة الإيمان طغت على آثار البرد والجوع القارصين، فكانوا يعملون بقوة ويحملون التراب على أكتافهم، وقد استووا جميعاً في الحفر وحمل الأتربة، وهم في غاية الحماس يرددون الأهازيج والأرجاز، والرسول ﷺ يحفر معهم وينقل التراب حتى اغبر بطنه ووارى التراب جلده ﷺ، وكان الصحابة يلجؤون إليه إذا عرضت لهم الصخرة الكبيرة فيأخذ المعول ويفتت الصخرة))[2].

وقد (لاحظ الصحابي جابر بن عبدالله رضي الله عنه ماأصاب الرسول ﷺ من الجوع الشديد أثناء حفر الخندق فطلب من زوجته أن تصنع له طعاماً، فصنعت شيئاً لايكفي إلاّ لنفر قليل، وذهب جابر فدعا النبي ﷺ إلى الطعام، وسارّه بكمية الطعام، فصاح النبي ﷺ بالمسلمين ودعاهم إلى

(١) الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٧٣.

(٢) المجتمع المدني (الجهاد...) ، أكرم العمري ١١٣ بتصرف. وانظر: صحيح البخاري ٧/ ٤٥٦ (٤١٠١) وانظر معه الفتح ٧/ ٤٥٨، ٤٥٩.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

طعام جابر، فحضر منهم ألف، وأُسقط في يد جابر وأهله، لكن النبي ﷺ بارك في البرمة، فأكل منها الجميع حتى شبعوا وتركوا فيها الكثير، فأكل منه أهل جابر وأهدوا منه)[١].

وروى ابن إسحاق:أن ابنة لبشير بن سعد، أخت النعمان بن بشير قالت: دعتني أمي عَمْرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما. قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي وخالي؛ فقال:« **تعالي يابنية، ماهذا معك ؟** » قالت: فقلت: يارسول الله، هذا تمر، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه، قال: « **هاتيه** » قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «**اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء** ». فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب[٢].

ولما تحزّب الأحزاب من قريش والأحابيش وقبائل العرب واليهود[٣]، ودنوا من المدينة وحاصروها كان المسلمون مستعدين -رغم ظروف الجوع والبرد والخوف والنصَب -أن يضحوا بشطر ثمر المدينة في سبيل فك

(١) المجتمع المدني (الجهاد....) ، أكرم العمري ١١٤ بتصرف. وأصل القصة في الصحيحين وغيرهما، انظر: صحيح البخاري ٧/ ٤٥٧ (٤١٠٢). وصحيح مسلم ٣/١٦١٠، ١٦١١ (٢٠٣٩).

(٢) السيرة ، ابن هشام ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩.ودلائل النبوة ،أبو نعيم ٢/ ٤٩٩، ٥٠٠ (٤٣١)، تحقيق محمد رواس قلعتجي وعبد البر عباس،دار النفائس، ط٢، بيروت، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م. وقال محققاه: الإسناد منقطع. وتاريخ الإسلام (المغازي) ، الذهبي ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) السيرة ، ابن هشام ٣ / ٢٢٥، ٢٢٦.والمجتمع المدني (الجهاد....) ، أكرم العمري ١١٠، ١١١. والسيرة النبوية،مهدي رزق الله أحمد ٤٤٤، ٤٤٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الحصار عن المدينة وتفريق جموع الأحزاب[١].

وقد واجه النبي ﷺ تلك الظروف بنوع آخر من الإجراءات إضافة إلى ماسبق ذكره من نزول تشريع زكاة الأموال وزكاة الفطر، وتشريع أخذ الغنائم والخمس والفيء، إلى جانب رواج سوق العمل في المدينة مع كثرة الوافدين عليها، وقد أسهمت هذه الإجراءات مجتمعة في التخفيف من وطأة تلك الظروف والأوضاع، ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذها النبي ﷺ لهذا الغرض:

حث الفقراء على الصبر والإحتساب، والأغنياء على البذل والإنفاق، والوعد بالأجر العظيم على ذلك يوم القيامة[٢]، ولهذا فقد جاء في السنة فضل الإنفاق وقت الحاجة على الإنفاق في حال اليسر، من مثل قوله ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المقل**»[٣]. وحين سئل ﷺ: أيّ الصدقة أعظم ؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى**»[٤]. وقال ﷺ: «**ماأعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر**»[٥].

ومع هذا فقد كان أهل الصّفّة على سبيل المثال يحضون بعناية النبي ﷺ وأصحابه، فسعد بن عبادة ﷺ كان يستضيف وحده ثمانين منهم[٦]، وكثيراً ماكان النبي ﷺ يدعوهم إلى تناول الطعام معه[٧]،

---

(١) السيرة، ابن هشام ٢٣٤/٣.

(٢) المجتمع المدني (خصائصه.....) ، أكرم العمري ٩٨ - ١٠١. ومجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ١٠٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٨. وفيض القدير، المناوي ٣/ ٤٧٥، دار المعرفة، بيروت – لبنان. وانظر: المغني ، ابن قدامة ٤/ ٣٢٠، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والسلسلة الصحيحة ، الألباني ٢/ ١٠٥ (٥٦٦)، المكتب الإسلامي، ط٤، بيروت ودمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٤) حيح البخاري مع الفتح ٣/ ٣٣٤ (١٤١٩).

(٥) حيح مسلم ٢/ ٧٢٩ (١٠٥٣).

(٦) الحلية ، أبو نعيم ١/ ٣٤١، دار أم القرى، القاهرة. والمجتمع المدني (خصائصه.....)، أكرم العمري ٩٢.

(٧)صحيح البخاري ١١ / ٢٨٦(٦٤٥٢). والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ٩٨، ١٠٠.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأحياناً يوزعهم بين أصحابه بعد صلاة العشاء ليتعشوا معهم، ويقول: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس أو سادس**» فيأخذ الصحابة بعضهم ومن بقي منهم يصحبهم النبي ﷺ إلى داره فيتعشون معه[١]، وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام إليهم[٢].

((وقد استثارت حالة أهل الصّفّة سبعين من الأنصار يقال لهم (القراء) -وهم الذين استشهدوا يوم بئر معونة (سنة ثلاث أو أربع من الهجرة)[٣] - فكانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصّفّة والفقراء[٤].

وقد اقترح محمد بن مسلمة الأنصاري وآخرون من الأنصار على النبي ﷺ أن يخرج كل واحد منهم قنواً من بستانه حين ينضج التمر لأهل الصّفّة والفقراء، فوافق على ذلك، ووضع في المسجد حبلاً بين ساريتين، فأخذ الناس يعلقون الأقناء على الحبل، فربما اجتمعت عشرون قنواً وأكثر، وكان معاذ بن جبل ﷺ يقوم على حراسة الأقناء... وأنكر النبي ﷺ على رجل علق قنواً فيه حشف وأراد أن يكون التصدق بأطيب من ذلك))[٥].

وعلى كل حال فقد وضع الأنصار كل إمكانياتهم في خدمة

---

(١) حيح البخاري ٢/ ٩٠ (٦٠٢). والحلية ، أبو نعيم ١/ ٣٤١. والطبقات ، ابن سعد ٢٥٥/١، ٢٥٦. والمجتمع المدني(خصائصه...) ، أكرم العمري ١٠٠.

(٢) لحلية ، أبو نعيم ١/ ٣٧٨. والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ١٠٠.

(٣)السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/ ١٩٣. والطبقات ، ابن سعد ٥١/٢. ومردّ هذا الاختلاف إلى اختلافهم في تحديد بداية التأريخ الهجري.أنظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ٤/ ٩٣، ٩٤. والمجتمع المدني (خصائصه...) ، أكرم العمري ١٥١، ١٥٢. و(الجهاد....) ١٠٩.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٥١١ (١٤٧).

(٥) سنن النسائي ٥ / ٤٦ (٢٤٩٢)، دار المعرفة، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م. ووفاء الوفا ، السمهودي ٢/ ٤٥٧، ٤٥٨. والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ١٠١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المهاجرين[١] وتبرعوا ببعض ماليهم من أراضٍ فقسمها النبي ﷺ بين المهاجرين مع أراضٍ أخرى فضاء ليست مملوكة لأحد[٢]، وحثهم على بنائها والسكن فيها[٣].

ومن تلك الإجراءت أيضاً تشريع نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في العام الثاني الهجري[٤] الذي أصبح بموجبه لزاماً على الأخ أن ينصر أخاه ويؤازره ويعينه لزوماً شرعياً لامنّة فيه، بل ويرث الأخ أخاه دون ذوي رحمه، إلا أن التوارث أبطل فيما بعد لما زالت الأسباب الداعية إليه وعاد إلى وضعه الأول بين ذوي الأرحام فقط، لكن المؤازرة والإعانة والنصرة بقيت على حالها، وهي باقية بين سائر المؤمنين إلى يوم القيامة[٥]، ومن الصور العملية على هذه النصرة والمؤازرة التي تمت بين المهاجرين والأنصار ما وقع بين سعد بن عبادة الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف المهاجري، حيث كان الاثنان أخوين بموجب نظام المؤاخاة، فعرض سعد على عبد الرحمن شطر ماله وأن ينظر إلى أحب زوجتيه إليه ليطلقها فيتزوجها إذا حلّت، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، وطلب أن يدله على السوق[٦].

ولعل من التدابير الأخرى التي اتخذها النبي ﷺ وأسهمت في عدم تفاقم المشكلة، سواءً اتخذت لهذا الغرض قصداً أو لم تتخذ له هو أن النبي ﷺ رأى أفضلية الحد من تدفق المهاجرين على المدينة فقد كان يطلب ممن يأتيه مهاجراً ويريد الإقامة بالمدينة أن يعود إلى بلاده ويُكتب له أجر

(١) المجتمع المدني (خصائصه...) ، أكرم العمري ٨٩.

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق محمد حميد الله) ، البلاذري ٢٧٠. والمجتمع الإسلامي ، أكرم العمري ١٤.

(٣) مجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ١٠٥.

(٤) السيرة النبوية ، ابن هشام ١/ ٥٠١. والمجتمع المدني (خصائصه...) ، أكرم العمري ١١٢.

(٥) المجتمع المدني (خصائصه...) ، أكرم العمري ٧١ – ٨٠.

(٦) صحيح البخاري ٧/ ٣١٧ (٣٩٣٧).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المهاجر ومنزلته وهو في بلاده، وذلك ابتداءً من شهر رجب من العام الخامس الهجري قبل الخندق[١]، واستمر في هذا الإجراء إلى ماقبل فتح مكة من العام الثامن الهجري[٢]، لكن دون أن يعزم عليهم بذلك، ولهذا فقد استمر تدفق المهاجرين على المدينة حتى بعد هذا التأريخ، ولم يتوقف رسمياً إلا في العام الثامن الهجري بعد فتح مكة حين قال النبي ﷺ: «**لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[٣].

كانت هذه أبرز ملامح الوضع الاقتصادي للمدينة قبيل غزوة الأحزاب، وقد شهد هذا الوضع تحسناً ملحوظاً في السنوات التي أعقبت غزوة الأحزاب، وبخاصة بعد فتح خيبر سنة سبع[٤]، وفرض الجزية سنة ثمان [٥]، وغزوة حنين[٦] سنة ثمان أيضاً، ((فكانت العطايا العينية توزع على سكان المدينة في في السنوات التي أعقبت فتح خيبر، وتمكن المسلمون من إجازة الوفود بالجوائز واستضافتهم مدة إقامتهم في المدينة سنة تسع))[٧] إلا أنه ظل تحسناً نسبياً، يفتقد إلى الثبات والديمومة والاستمرار، ويتغير بتغير الظروف والأحوال، ولا يكفي لسد حاجات الدولة والمجتمع المتزايدة مع الأيام.

---

(١) الطبقات، ابن سعد ١/ ٢٩١. ومجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ١٠٧.

(٢) المغازي ، الواقدي ٧٨٢/٢.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٦، ٤٥ (٢٧٨٣، ٢٨٢٥).

(٤) قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((ما شبعنا من التمر حتى فتحت خيبر)) وبنحوه عن ابن عمر انظر: فتح الباري ٩/ ٤٣٨ في شرحه للحديث رقم (٥٣٨٣). والمجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري ١٧١. والحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٧٣.

(٥) وقيل في سنة ست، وقيل في سنة سبع. انظر: الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٦٦. والحياة الاقتصادية ، محمد بطاينة ١٦، ١٧.

(٦) وسبب ذكر حنين خاصة أنه كانت من أكثر الغزوات غنائم، وهي تقدر في الدراسات المعاصرة ما بين مليون وخمسمائة ألف وثلاثة ملايين درهم. انظر: المجتمع المدني (الجهاد.....) ، أكرم العمري ٢٠٦، ٢٠٥. والحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٦٥.

(٧) الحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٧٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ففي غزوة تبوك التي كانت في العام التاسع الهجري، ولم يكن بينها وبين غزوة حنين إلا حوالي ستة أشهر فقط أصاب المسلمين وقتها ضيق اقتصادي حتى سميت غزوة تبوك نفسها بغزوة العسرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحالة فقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وفيها كان الرجلان يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم، يمصها هذا ثم يشرب عليها الماء، ثم يمصها هذا ويشرب عليها الماء، ولاندري إن كانت الأزمة الاقتصادية تلك ترجع إلى توقيت الحملة قبل جني الثمار أم أنها ترجع إلى عوامل أخرى [2].

وكانت معاناة بعض أهل الصّفّة لاتزال قائمة حتى بعد فتح خيبر، فأبو هريرة ﷺ الذي لم يسلم إلا بعد فتحها كان يصرع في مسجد رسول الله ﷺ بين المنبر وحجرة عائشة رضي الله عنها لما به من الجوع كما تقدم[3].

وقصته ﷺ في اعتراض أبي بكر ثم عمر ثم رسول الله ﷺ وسؤالهم عن آية من كتاب الله رجاء أن يستضيفه أحدهم ليطعم معه لما به من الجوع مشهورة[4].

وكذلك كان رسول الله ﷺ ((لم يزل يتقلب في اليسار والقلة حتى توفي ﷺ، فتارة يوسر وتارة ينفد ماعنده كما ثبت في الصحيح عن أبي

(١) التوبة : ١١٧.

(٢) دلائل النبوة ، أبو نعيم ٢/ ٤١٩ (٣٢٦). وتفسير الطبري ١١/ ٦٧. والمجتمع المدني (الجهاد....) ، أكرم العمري ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠ بتصرف. والحياة الاقتصادية ، أكرم العمري ٧٣. والآية الكريمة رقمها (١١٧) من سورة التوبة.

(٣) انظر فيما تقدم ص ٣٨.

(٤) صحيح البخاري ٢٨٦/١١ (٦٤٥٢).ودلائل النبوة ، أبو نعيم ٢/ ٤٢٢، ٤٢٣ (٣٢٩).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هريرة ﷺ: (**خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير**)[١]. وعن عائشة رضي الله عنها: (**ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعا حتى قبض**)[٢]، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة على شعير استدانه لأهله[٣]... فكان النبي ﷺ في وقت يوسر ثم بعد قليل ينفد ماعنده لإخراجه في طاعة الله من وجوه البر، وإيثار المحتاجين، وضيافة الطارقين، وتجهيز السرايا، وغير ذلك))[٤].

الحالة السياسية

لم يكن بالمدينة قبل الإسلام نظام سياسي يمكن أن ينازع على السلطة، أو ينضوي تحته من لم يسلم، باستثناء اليهود الذين ضلوا في تجمعاتهم الخاصة، وتدبير شؤونهم بأنفسهم وبزعاماتهم الدينية[٥].

اللهم إلاّ ما كان من عزم أهل المدينة قبل مهاجر النبي ﷺ بقليل من تتويج عبد الله بن أبيّ ملكاً عليهم، وهو الأمر الذي حال دونه مجيء النبي ﷺ إليها، وتسلمه مقاليد الأمور بها، مما كان له أكبر الأثر في إيغار صدر ابن أبيّ على الرسول ﷺ، ودخوله في الإسلام نفاقاً بعد النصر الذي أحرزه المسلمون في بدر، إلى أن مات على ذلك نسأل الله العافية وحسن الختام[٦].

وحين قدم النبي ﷺ إلى المدينة أصبح للمدينة كياناً سياسياً يقوم على

(١) صحيح البخاري ٩ / ٤٦٠ (٥٤١٤).

(٢) صحيح البخاري ٩ /٤٦٠ (٥٤١٦). وصحيح مسلم ٤/٢٢٨١ (٢٩٧٠).

(٣) صحيح البخاري ٩ / ١١٦ (٢٩١٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣ / ٢١١.

(٥) التاريخ الشامل ، عبد الباسط بدر ١/ ٢١٩.

(٦) صحيح البخاري ١٠ / ٦٠٧ (٦٢٠٧). وصحيح مسلم ٣/ ١٤٢٢ (١٧٩٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عدة اعتبارات من أبرزها: قيام الدولة الإسلامية لأول مرة في التاريخ، واعتبار النبي ﷺ القائد العام لهذه الدولة وهو المرجع الوحيد في كل شؤونها، ويخضع لسلطته فيها كل أهلها، مسلمون وغير مسلمين، واعتبار القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ مصدر التشريع الوحيد لها، واعتبار المدينة عاصمة هذه الدولة، ومحط أنظار القبائل العربية والدول المجاورة، ومركزاً لصنع الأحداث والقرارات الهامة.

وفي سبيل التمكين لهذه الدولة قام الرسول القائد ﷺ بسن الأنظمة واتخاذ الإجراءات اللازمة، على الصعيدين الداخلي والخارجي.

فعلى الصعيد الخارجي تبدو ملامح الحالة السياسية بوضوح في تلك الفترة من خلال إرسال الحملات الجهادية حول المدينة لنشر الإسلام، والتمكين لهذا الدين، وفرض سيطرة الدولة الإسلامية، وبسط نفوذها، وحماية حدودها.

وقد استحوذت آيات الجهاد على ما يقرب من نصف ما نزل من القرآن في العهد المدني[١].

وكانت قريش تمثل محور الارتكاز الذي تدور عليه هذه السياسة، باعتبارها العدو الأول الذي يناوىء المسلمين، ويتربص بهم الدوائر، ويقف في طريق دعوتهم.

وقد بدأت تلك الحملات بداية بسيطة فكانت أعداد المشاركين فيها في أول الهجرة قليلة، واقتصرت المشاركة فيها في أول الأمر على المهاجرين وحدهم[٢]، ثم شارك الأنصار إلى جانب المهاجرين فيها فيما بعد، وقد

(١) سيرة الرسول ﷺ(صور مقتبسة من القرآن)، محمد عزة دروزة ٢/ ٢٧٣.

(٢) المجتمع المدني (الجهاد.....)، أكرم العمري ٤٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

استهدفت تلك الحملات القبائل حول بالمدينة، ولم تكن تحرص على خوض القتال مع تلك القبائل ابتداءً بقدر حرصها على دعوتهم للإسلام وعقد الأحلاف والمعاهدات معهم لتأمين حدود الدولة الإسلامية من جهة، ولضمان حيادهم في المواجهة المرتقبة مع قريش من جهة أخرى، هذا إذا لم يختاروا الدخول في الإسلام، ولقد آتت هذه الأحلاف أُكُلَها، إذ لم تتعرض المدينة لأي غارة من تلك القبائل التي وادعوها، كما أنها بقيت على حيادها في حرب المسلمين مع قريش ولم تقدم أي نوع من أنواع الدعم للقرشيين[١].

ومن الأحلاف التي عقدت مع القبائل في الفترة موضوع الدراسة: موادعة بني ضمرة من كنانة في غزوة الأبواء في صفر من السنة الثانية من الهجرة، وموادعة بني مدلج في غزوة العشيرة في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة أيضاً [٢]، وموادعة عيينة بن حصن الفزاري في غزوة دومة الجندل في ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة[٣].

إلا أن بعض القبائل لم تشأ الدخول في تلك الأحلاف، فكانت تناوئ المسلمين، وتتربص بهم، وتشكل خطراً يتهددهم، فكان لابد من تأديبهم وتوجيه ضربات استباقية وقائية ضدهم بعد أن ظهرت عداوتهم، وقد استمرت هذه الحملات التأديبية إلى وقت متأخر من عصر السيرة، ويقابلنا منها في الفترة موضوع الدراسة: غزوة بدر الأولى التي قادها النبي ﷺ بنفسه في مطاردة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على أطراف المدينة ونهب

(١) السابق ٢٧، ٢٨.

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٥٩١، ٥٩٩. وتاريخ خليفة بن خياط ٥٦، ٥٧، تحقيق أكرم العمري، دار طيبة، ط٢، الرياض – السعودية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام٣/ ٢٢٤. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٦٢، ٦٣. وزاد المعاد ، ابن القيم ٣/ ٢٥٦، ٢٥٥، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعض إبل المسلمين وماشيتهم حتى بلغ (سفوان) من نواحي بدر، وذلك في جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة[١].

وفي المحرم من السنة الثالثة قاد النبي ﷺ حملة مشابهة ضد جموع بني سليم وغطفان الذين تجمعوا للإغارة على المدينة[٢].

وفي ربيع الأول من السنة نفسها قاد الرسول ﷺ حملة مماثلة ضد جموع غطفان التي تريد الإغارة على المدينة[٣].

وفي المحرم من السنة الرابعة بعث النبي ﷺ سرية بقيادة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى بني أسد الذين تجمعوا للإغارة على المدينة وعليهم طليحة الأسدي[٤].

كما بعث في الوقت نفسه عبد الله بن أنيس الجهني إلى بني هذيل الذين تجمعوا للإغارة على المدينة يقودهم خالد بن سفيان الهذلي[٥].

وفي جمادى الأولى من سنة أربع قاد النبي ﷺ بنفسه سرية لتأديب بني لحيان الذين قتلوا القراء في الرجيع[٦].

وفي ربيع الأول من سنة خمس قاد النبي ﷺ بنفسه سرية إلى دومة الجندل، وقد بلغه وجود تجمع للمشركين بها يريدون الإغارة على المدينة[٧].

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٦٠١. وتاريخ خليفة ٥٧.

(٢) المغازي ، الواقدي ١/ ١٨٢.والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٣١.

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/ ٤٩. والمغازي ، الواقدي ١/ ١٩٣. والطبقات ، ابن سعد ٢/٣٤.

(٤) السيرة النبوية ، ابن هشام ٤/ ٢٦٠. والمغازي ، الواقدي ١/ ٣٤٠. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٥٠.

(٥) السيرة النبوية ، ابن هشام ٤/ ٢٦٧. والمغازي ، الواقدي ٢/ ٥٣١. و الطبقات ، ابن سعد ٢/ ٥٠. وزاد المعاد ، ابن القيم ٣/ ٢٤٣.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ٧٧. والبداية والنهاية ، ابن كثير ٤/ ٨١.

(٧) السيرة النبوية ، ابن هشام٣/ ٢٢٤. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٦٢، ٦٣. وزاد المعاد ، ابن القيم ٣/ ٢٥٦، ٢٥٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وفي هذه السنة نفسها أيضاً أرسل ﷺ سرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى جموع طيء وأسد[١].

كما استهدفت تلك الحملات أيضا ضرب اقتصاد قريش، واعتراض قوافلها القادمة من وإلى الشام والعراق واليمن، ومطاردتها كلما لجأت إلى المراوغة وتغيير خط سيرها، وهو ما أثار حفيظة القرشيين، وجعلهم يعدون العدة لوضع حد لتلك الأعمال، ابتداءً من بدر وأحد والخندق، إلا أن جهودهم باءت جميعها بالفشل، وظهر عليهم في أعقاب الخندق الإعياء والتعب والعجز وقلة الحيلة، في حين أسفرت الخندق عن قدرة المسلمين على الدفاع عن أنفسهم، وحماية كيانهم أمام قوى الأحزاب[٢]، وقد استمر المسلمون في مطاردتهم واعتراض قوافلهم التجارية، مع نبل هدفهم، وشرف غايتهم، وعظيم مقصدهم، وعلو همتهم، حتى وصلوا إلى عقر دارهم (مكة) كما في الحديبية سنة ست والفتح سنة ثمان، إلى أن استسلمت قريش، وأذعنت للحق، وأعلنت إسلامها، فحقنت دماءها، وأحرزت أموالها، والتحقت بصفوف المسلمين، واقتدى بها معظم قبائل العرب في الجزيرة العربية، لكونهم أهل الحرم، وحماة البيت، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وذلك ابتداءً من العام الثامن الهجري عقب الفتح إلى ما بعد العام العاشر الهجري.

ومن السرايا التي أرسلها النبي ﷺ لهذا الغرض في الفترة موضوع الدراسة: سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرّار على رأس تسعة أشهر من الهجرة[٣]، وسرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ في ربيع الأول على رأس ثمانية

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٧٨.

(٢) المجتمع المدني (خصائصه.....) ، أكرم العمري ٦٩.

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٦٠٠. والمغازي ، الواقدي ١/ ١١. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أشهر من الهجرة[١]، وسرية حمزة بن عبد المطلب إلى سِيف البحر على رأس رأس سبعة أشهر من الهجرة[٢]، وغزوة بواط قادها ﷺ بنفسه، في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة[٣]، وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة في رجب من السنة الثانية للهجرة[٤]، وغزوة بُحْران من ناحية الفُرع في جمادى الأولى من السنة الثالثة للهجرة، وقادها النبي ﷺ بنفسه[٥]، وسرية القَرَدَة في جمادى الآخرة من نفس السنة بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه[٦].

كما قامت على الصعيد الخارجي أيضاً على استقطاب المهاجرين إلى المدينة؛ لتكثير سواد المسلمين، وتقليل سواد المشركين، والمشاركة في بناء الدولة الناشئة والتمكين لها، وتوطيد دعائمها، وحماية حدودها، ومعرفة شرائع الإسلام، والحلال والحرام، والوقوف إلى جانب النبي ﷺ صفاً واحداً لرد عدوان المعتدين المتربصين بالمسلمين الدوائر، الذين أصبحوا في المدينة أنواعاً مختلفة وصنوفاً شتى، مابين الأعراب حول المدينة، واليهود داخلها ، والمنافقين ممن لم يسلم من الأوس والخزرج داخل المدينة أيضاً، إضافة إلى قريش عدوهم التقليدي، في حين أنهم كانوا في مكة لايواجهون إلا عدواً واحداً فقط وهو قريش.

إلا أنه جرى تعديل على هذه السياسة منذ أواخر العام الخامس

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٥٩١. والمغازي ، الواقدي ١/ ١٠. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٧. وزاد المعاد ، ابن القيم ٣/ ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/ ٥٩٥. والمغازي ، الواقدي ١/ ٩. والطبقات ، ابن سعد ٢/ ٦. وزاد المعاد ، ابن القيم ٣/ ١٦٣.

(٣) السيرة النبوية ،ابن هشام ٦٠١/٢. والمغازي ، الواقدي ١٣/١.والطبقات ،ابن سعد١٠/٢.

(٤) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢ /٥٩٨. والمغازي ، الواقدي ١٢/١. والطبقات ،ابن سعد٨/٢.

(٥) السيرة النبوية ،ابن هشام ٥٠/٣. والمغازي ، الواقدي ١٩٦/١. والطبقات ،ابن سعد ٣٥/٢.

(٦) السيرة النبوية ،ابن هشام ٥٣/٣. والمغازي ، الواقدي ١٩٧/١.والطبقات ،ابن سعد ٣٦/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الهجري حين ظهر عجز المدينة اقتصادياً عن استيعاب مهاجرين جدد، ورأى النبي ﷺ أفضلية الحد من تدفق المهاجرين على المدينة، مع منحهم فضيلة الهجرة ومنزلتها وهم في بلادهم، مع بقاء الحاجة إليهم وعدم الاستغناء عنهم في المغازي الكبيرة خارج المدينة، كما جرى له في الحديبية والفتح وتبوك، حين كان يطلب من القبائل أن تلحق به في الطريق.

أما على الصعيد الداخلي فقد قامت سياسة النبي ﷺ منذ قدومه المدينة على اعتبار المسلمين أمة واحدة، تقوم وحدتها على الدين وليس على القوم، وولاء المسلمين فيها للدولة وليس للقبيلة، ولذا فإنه لايحق لمؤمن أن ينصر كافراً على مؤمن، كما لايحل له أن ينصر محدثاً أو يؤويه، وقد ظل هذا الاعتبار مطبقاً منذ العام الأول الهجري إلى مابعد وفاته ﷺ، مروراً بالفترة موضوع الدراسة، وكان من أبرز أسباب النصر في مواجهة الأحداث التي كانت تعصف بالأمة، ومنها حادثة غزوة الأحزاب[1].

ولهذا كان من أهم القرارات السياسية التي اتخذها النبي ﷺ بعد قدومه المدينة إبرام المعاهدة بينه وبين اليهود في المدينة، وعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[2]، فمع اختلاف أطياف المجتمع في المدينة تبقى احتمالات وقوع الخلاف والشر بينهم قائمة، مما يزعزع الأمن، ويصرف جهود المسلمين عن الغاية العظمى التي ينتظر منهم القيام بها، ولابد والحالة هذه لقطع دابر الفتنة، وحسم مادة الشر، من قطع الطريق على كل سبب قد يفضي إليها، فجاء عقد هذه المعاهدة بين المسلمين واليهود

(١) مجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ١٤٠. والنظم الإسلامية ، حسن وعلي إبراهيم حسن ١٣٩، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. وتاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم حسن ١/ ١٩٤، ط٧، ١٩٦٤م. والمجتمع المدني (خصائصه.....) ، أكرم العمري ٧١ - ٨٠.

(٢) المجتمع المدني (خصائصه.....) ، أكرم العمري ١٠٧ -١٣٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قائماً بهذا الدور؛ حيث وضع الجميع في مواجهة حقوقهم وواجباتهم ومسؤلياتهم تجاه الطرف الآخر الذي يشاركم الإقامة في المدينة، وبالتالي تحمل العواقب المترتبة على الإخلال بأي من بنودها، وقد استمر العمل بهذه المعاهده إلى مابعد غزوة الخندق بقليل، حين نقضت قريظة المعاهدة[1]، وكانوا آخر من تبقى من اليهود في المدينة، وكان يهود بني قينقاع هم أول من نقض المعاهدة ثم بني النضير ثم قريظة، فكان نقض قريظة لها إيذاناً بانتهاء العمل بها، وصارت هذه المعاهدة سبباً مكّن المسلمين من تطهير المدينة من دنس اليهود بطريقة لاظلم فيها ولا عدوان، بعيدة عن أدبيات التآمر التي يتبعها اليهود أنفسهم عادة.

كما كان إبرام وثيقة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أهم القرارات السياسية التي اتخذها النبي ﷺ حيث سرّعت أسباب التعارف بين الطرفين، وأذابت الفوارق بينهما، وأزالت أسباب الوحشة والغربة، وساهمت في تكوين نسيج اجتماعي يزداد مع الأيام تماسكاً ليتمكن من الوقوف في وجه الأحداث الجسام التي تنتظره، علاوة على ماقدمته من علاج سريع وفعّال للمشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة والصحية التي عانى منها المهاجرون خاصة، وقد استمر العمل بهذه الوثيقة إلى وفاته ﷺ، وكانت سبباً رئيسياً في وقوف المسلمين صفاً واحداً ويداً واحدة في وجه الأحداث التي كانت تعصف بهم.

وكان من سياسته ﷺ التي يعلمها أصحابه ﷺ أهمية اتخاذ العمال والولاة والقواد والأمراء والنواب، في الحضر والسفر، وفي السلم

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣ / ٢٣١ -٢٣٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والحرب[١]، وهذا من شأنه أن يعودهم النظام والمسؤولية والانضباط، وكان يطبق هذا عملياً؛ فإذا خرج من المدينة لغزو أوغيره ولو كان خروجه قريباً لم يخرج حتى يعين عليها من ينوب عنه من أصحابه فترة غيابه، يدير شؤون الدولة، ويرعى أحوال الناس، ويقيم لهم الصلاة، كما فعل في خروجه إلى بني قريظة رغم قربها الشديد، حيث استخلف على المدينة قبل خروجه منها عبد الله بن أم مكتوم ﷺ[٢]، وكذلك فعل في خروجه ﷺ من قبل إلى بدر حيث عين على المدينة فترة غيابه عنها أبا لبابة بن عبد المنذر ﷺ[٣]، وفي خروجه إلى أحد عين عبد الله بن أم مكتوم ﷺ[٤]، وحين خرج إلى بواط استعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون[٥]، وحين خرج إلى العشيرة استعمل عليها أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي[٦] وكان ﷺ يتخيّر عماله ممن اشتهر بالصلاح،والتقوى، والعلم، والفقه في الدين[٧]، كما كان يأمر أصحابه بضرورة اتخاذ أمير لهم ولو كان عددهم قليلاً، فيقول ﷺ: « **إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»[٨].

كما قامت سياسته ﷺ على اعتبار الشورى أساساً في اتخاذ القرارات، وخاصةً في القضايا المصيرية التي تهم الأمة مجتمعة كقضايا الحرب والسلم.

---

(١) المجتمع المدني (الجهاد...) ، أكرم العمري ٤١.

(٢) السيرة النبوية ،ابن هشام ٢٤٥/٣.

(٣) السيرة النبوية ،ابن هشام ٢/ ٦١٢. والبداية والنهاية ، ابن كثير ٢٦٠/٣.

(٤) المغازي ، الواقدي ١/ ١٩٩.

(٥) السيرة النبوية ، ابن هشام ٥٩٨/٢.

(٦) السابق.

(٧) التاريخ الشامل ، عبد الباسط بدر ١/ ٢٢٤. والنظم الإسلامية ، حسن وعلي إبراهيم حسن ١٤٠.

(٨) سنن أبي داود٨١/٣، ٨٢ (٢٦٠٨، ٢٦٠٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٤٨/١ (٥٠٠)،المكتب الإسلامي، ط٢ ،بيروت ودمشق، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بل كان ﷺ كثيراً ما يستشير أصحابه في بعض أمور السيادة التي يتصرف فيها القائد عادة، مع أنه مؤيد بوحي من الله، ولكن ليشيع الشورى بينهم تطبيقاً للآية الكريمة ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١].

((وكان ﷺ يشاور أصحابه مجتمعين ومنفردين))[٢]، فقد دعاهم للشورى في غزوة بدر، وعلى وجه الخصوص الأنصار[٣]، واستشار أبا بكر بكر وعمر في الأسرى بعد المعركة[٤]، واستشار أصحابه في الخروج لملاقاة المشركين يوم أحد[٥]، واستشار سعد بن عبادة في موقف عبد الله بن أبيّ ومحاولته تفريق جمع المسلمين[٦]، وشاورعدداً من أصحابه ﷺ في حادثة الإفك قبيل غزوة الخندق[٧]، وشاور زعماء الأنصار في دفع شطر ثمر ثمر المدينة لغطفان في معركة الخندق لفك الحصار عن المدينة[٨]، وشاورهم في كيفية إيذان الناس بالصلاة[٩].

((وكثيراً ماكان الرسول ﷺ يستشير أصحابه فيما لاوحي فيه...

---

(١) الشورى : ٣٨.

(٢) المجتمع الإسلامي ، أكرم العمري ٥٣.

(٣) السيرة النبوية ، ابن هشام ٢/٦١٥.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٣٨٥ (١٧٦٣). وتلخيص الحبير ، ابن حجر ٤/ ١٢١ (٤٨)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. وصححه الألباني في فقه السيرة للغزالي ٢٥٣، ٢٥٤، دار الكتب الحديثة، ط٧، القاهرة، ١٩٧٦م.

(٥) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٦) صحيح البخاري ٨/٧٨، ٧٩ (٤٥٦٦).

(٧) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/ ٣١٣، ٣١٤.

(٨) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/ ٢٣٤.

(٩) صحيح البخاري ٢/ ٩٣ (٦٠٤). وصحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٧٦، ٧٥، دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت – لبنان. وانظر: التاريخ الشامل ، عبد الباسط بدر ١/ ٢٢٤. والمجتمع الإسلامي ، أكرم العمري ٥٣، ٥٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تعويداً لهم على التفكير بالمشاكل العامة، وحرصاً على تربيتهم على الشعور بالمسؤولية ورغبة في تطبيق الأمر الإلهي بالشورى، وتعويد الأمة على ممارستها))[١].

وبذلك شهد مجتمع المدينة ((أول تطبيق للشورى السياسية في الإسلام؛ إذ كانت الشورى في مكة تقتصر على الممارسات الفردية))[٢].

كما قامت سياسته ﷺ على كفالة الحرية الدينية للأقلية اليهودية في المدينة[٣]، وعدم إكراههم على الدخول في الإسلام، ومعاملتهم بالمعروف والعدل، ومنع التحريض عليهم أو إيذائهم[٤]، مقابل اعترافهم بسلطة المسلمين في المدينة، وخضوعهم لها، واشتراكهم في الدفاع عنها إذا تعرضت لعدوان خارجي[٥]، كما أنهم والمسلمين يدٌ واحدة على من أراد فتنة داخل المدينة[٦].

إلا أن اليهود قابلوا الإحسان بالإساءة، والوفاء بالغدر والخيانة، والمعروف بالمنكر، والجميل بالقبيح، مما أدى إلى طردهم من المدينة وإجلائهم عنها، ولم يكن قد تبقى منهم فيها قبيل غزوة الأحزاب إلا بنو قريظة، وهم أكثر اليهود عدداً[٧]، وكان المسلمون يتوقعون منهم مثل ما كان من بني قينقاع والنضير، لكن لم يكونوا ليبدؤهم بقتال حتى يرو منهم أمراً منكراً، ولم يكونوا ليؤاخذوهم بجريرة أسلافهم، إلى أن

(١) المجتمع المدني (الجهاد....)، أكرم العمري ٤٦.

(٢) المجتمع الإسلامي ، أكرم العمري ٥٣.

(٣) المجتمع المدني (خصائصه....) ١٢٧.

(٤) السابق١٢٣، ١٣٥.

(٥) السابق ١٢٣، ١٢٦، ١٢٨.

(٦) السابق ١٢١، ١٢٢.

(٧) السابق ٥٩. والسيرة النبوية ، الندوي ١٧٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

جاءت غزوة الأحزاب، ونقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وانضموا إلى جموع الأحزاب في موقفهم[١]، فلما هزم الله الأحزاب، وفرّق جمعهم، وشتت شملهم، ورد كيدهم في نحورهم، كان أول عمل بدأ به النبي ﷺ بعد المعركة التوجه إلى بني قريظة لمحاسبتهم على غدرهم وخيانتهم للمسلمين في أحلك الظروف، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلةً حتى نزلوا على حكمه، ثم حكّم رسول الله ﷺ فيهم حليفهم سعد بن معاذ ﷺ، سيد من سادات الأوس، فحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وتسبى النساء والذرية، وتقسم الأموال[٢].

كما قامت على إقرار التنظيمات العشائرية التي كانت قائمة قبل الإسلام على حالها الذي كانت عليه، لكن تحت إشراف الدولة الإسلامية المباشر، ووفق أنظمة وضوابط الإسلام، بعيداً عن العصبيات القبلية التي كانت سائدة في الجاهلية، والاستفادة من تلك التنظيمات في نشر الإسلام، وتعليم الناس، وتحقيق التكافل الاجتماعي بينهم[٣].

وقد كان لكل عشيرة في المدينة رئيس يعينه الرسول ﷺ بنفسه أو بناءً على ترشيح قومه، وقد يقر الرئيس السابق على رئاسته إذا كان مرضياً في قومه، فقد عين ﷺ على بني سلمة الجعد الأبيض واسمه عمرو بن الجموح وقيل بشر بن البراء عينه بدلاً عن الجد بن قيس لأنه كان بخيلاً[٤].

---

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ٣/٢٣١ - ٢٣٣.

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٥.

(٣) المجتمع المدني (خصائصه....) ،أكرم العمري ١٢٩ -١٣٣. ومجتمع المدينة ،عبد الله بن إدريس ١٤٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ،الذهبي ١/ ٢٥٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وكان من مهام رئيس القبيلة رعاية أفراد عشيرته، وتفقد أحوالهم، وجمع عشيرته تحت راية واحدة أثناء التعبئة العامة، وهو حلقة الوصل بين عشيرته والحكومة المركزية التي يرأسها النبي ﷺ ، يبلغهم بما يستجد من تشريعات، وما يصدر من أنظمة وقرارات[١].

وقد نُصّ في وثيقة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ووثيقة الموادعة بين المسلمين واليهود على أسماء كثير من العشائر التي كانت في المدينة في ذلك الوقت، أما المهاجرون فاعتبروا كتلة عشائرية واحدة لقلة عددهم؛ حيث كانوا أخلاطاً من قبائل شتى أكثرهم من قريش[٢].

وقد كان لهذا التنظيم أثر كبير في تنافس القبائل فيما بينها: في سد الثغرات التي قد تظهر فيها، وفي حفظ الأمن بين أفرادها، والأخذ على أيدي سفهائها، وفي الحرص على ألا يؤتى الإسلام من قبلها في أرض المعركة، وكانت القبائل تتناوب في الخروج في السرايا والبعوث[٣]، لكنها تحرص جميعاً على المشاركة في المغازي الكبيرة التي يقودها النبي ﷺ بنفسه.

وكان اتخاذ المسجد النبوي من أبرز الوسائل التي أعانت النبي ﷺ على تنفيذ سياسته الداخلية والخارجية، فهو إلى جانب كونه داراً تمارس فيه أنواع مختلفة من العبادة كان مقراً يلتقي فيه بالمسلمين، ويعلمهم القرآن والسنة، ويتفقد أحوالهم، ويبادلهم الرأي والمشورة، ومنه يدير شؤون الدولة، ويتلقى فيها الأخبار، ويستقبل السفراء والوفود، وفيه تعقد

(١) مجتمع المدينة ، عبد الله بن إدريس ١٢٨، ١٢٩. والنظم الإسلامية ، حسن وعلي إبراهيم حسن ١٤٠.
(٢) المجتمع المدني (خصائصه....) ، أكرم العمري١١٩ - ١٢٢، ١٣٠.
(٣) السابق ١٣٤.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرايات، ويعلن الجهاد، ويعين الولاة والعمال[١]، حتى غدا المسجد ((مركز الحياة السياسية والاجتماعية))[٢]، وكان أشبه بالمقر الرسمي لرئيس الدولة وحكومته في العصر الحاضر[٣].

وكان قبل تأسيس مسجده ﷺ قد أسس مسجد قباء، المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم[٤]، وأخذ يحث القبائل على اتخاذ المساجد في منازلهم[٥]، ومسجد بني زُرَيق هو أول مسجد قريء فيه القرآن[٦]، ومسجد بني سلمة هو المسجد الذي شهد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة أثناء الصلاة[٧]، بعد ستة عشر شهراً من مقدم النبي ﷺ المدينة وصلاته إلى بيت المقدس[٨]، وقد عرف فيما بعد بمسجد القبلتين، وقد كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إمام قومه في حياة النبي ﷺ، فكان يصلي معه العشاء، ثم ينصرف إلى قومه فيصلي بهم إماماً في هذا المسجد، لهم فريضة وله نافلة[٩].

وقد بنيت في المدينة مساجد أخرى، منها: مسجد بني عبد الأشهل، ومسجد بني مازن، ومسجد بني سالم، ومسجد بني خدرة، ومسجد بني

---

(١) تاريخ النظم، فتحية النبراوي ٢٦١، ٢٦٠، الدار السعودية، ط٤، جدة – السعودية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. والمدينة عاصمة الإسلام الأولى، محمد الوكيل ٢٨. والنظم الإسلامية، حسن وعلي إبراهيم حسن ١٤٤، ١٤٣.

(٢) النظم الإسلامية، حسن وعلي إبراهيم حسن ١٤٣.

(٣) السابق ١٤٤. وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن ١/ ٥٢٣، ٥٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٥) مجتمع المدينة، عبد الله بن إدريس ١٢٤.

(٦) تاريخ المدينة، عمر بن شبة ٧٧، تحقيق فهيم شلتوت، دار الأصفهاني، جدة – السعودية.

(٧) السابق ٧٨.

(٨) تاريخ خليفة ٦٤.

(٩) التمهيد، ابن عبد البر ٢٤/ ٣٦٨، تحقيق سعيد أعراب، توزيع مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والدر الثمين، غالي الشنقيطي ٢٣٥، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن، ط٣، جدة ودمشق، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. وصححه الألباني.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حرام[١].

وهكذا شهدت المدينة المنورة ولأول مرة في تاريخها نشأة نظام سياسي متكامل، يقوم على تعاليم ومباديء الإسلام، وهو وإن كان لايزال في طور النمو ولم يبلغ مداه بعد من الاستقرار؛ بسبب ظروف القتال الذي لايزال مستمراً مع قريش وقبائل العرب من جهة، وعدم استقرار الوضع الأمني في المدينة نتيجة وجود المنافقين وبقايا اليهود من جهة أخرى، كما أن التشريع الذي يسهم في رسم صورة هذه السياسة لايزال مستمراً والوحي ينزل تباعاً، إلا أن أنه يسير بخطى ثابتة ومتزنة نحو الاستقرار، حين تتوقف تلك الحروب في فترة لاحقة، وتعلن قريش إسلامها، وتؤم وفود العرب المدينة لتعطي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ولتؤدي فروض الطاعة والولاء للدولة الإسلامية، وتدين جزيرة العرب بالإسلام، وتصبح الدولة الإسلامية ذات مساحة أكبر، ونفوذ أقوى، ومكانة أعظم.

(١) تاريخ المدينة ، عمر بن شبة ٥٧ – ٧٦. والحياة الاجتماعية ، محمد بطاينة ٢٥٩، مكتبة دار التراث، ط١، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة